٨- **والحُكْمُ**: هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته: إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلاناً تحكيماً: منعته عما يريد[1].

ومما تقدم يتضح ويتبين أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدة معان تتضمن معنى المنع:

فالعدل: يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم.

والحلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب.

والعلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل.

والنُّبُوّة، والقرآن، والإنجيل: فالنبي إنما بُعِثَ لمنع من بعث إليهم من عبادة غير الله، ومن الوقوع في المعاصي والآثام، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية أنزلها الله تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر وقبيح.

ومن فسر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن **المعرفة الصحيحة** فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: «الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل

(١) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، ٩١/٢، باب الحاء والكاف، مادة: حكم.

إتقانه؛ ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه»[1].

المطلب الثاني: مفهوم الحكمة في الاصطلاح الشرعي

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية[2]،

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية، ٢/٧.

(٢) جاء لفظ: الحكمة في كتاب الله – تعالى – في أكثر من تسعة عشر موضعاً، انظر: سورة البقرة، الآيات: ١٢٩، ١٥١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٩، وآل عمران: ٤٨، ٨١، ١٦٤، والنساء: ٥٤، ١١٣، والمائدة: ١١٠، والنحل ١٢٥، والإسراء: ٣٩، ولقمان: ١٢، والأحزاب: ٣٤، ص: ٢٠، والزخرف: ٦٣، والقمر: ٥، والجمعة: ٢.
وجاء لفظ الحكمة في السنة النبوية في عدة مواضع، انظر معظمها في: البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ١/١٦٥، برقم ٧٣، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر عن ابن عباس ﷺ، ٧/١٠٠، برقم ٣٧٥٦، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، برقم ٧٢٧٠، وكتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ٨/٩٨، ٩٩، برقم ٤٣٨٨، و٤٣٩٠، وكتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ١٠/٥٣٧، برقم ٦١٤٥، وباب الحياء، ١٠/٥٢١، برقم ٦١١٧. ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ١/٧١-٧٣، برقم ٥١، وباب عدد شعب الإيمان، ١/٦٤، برقم ٣٧، وكتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها، ١/٥٥٩، برقم ٨١٦، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة ٥١، برقم ٢٦٨٧، وكتاب البر والصلة، باب ما جاء في التجارب، ٤/٣٧٩، برقم ٢٠٣٣، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحكمة ٢/١٣٩٥، برقم ٤١٦٩، والدارمي في المقدمة، باب من هاب الفتيا مخافة السقط، ١/٧٥، برقم ٢٩٣، وباب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، ١/٩٠، برقم ٣٩٥، وباب فضل العلم والعالم، ١/٨٤، برقم ٣٥٧، وكتاب فضائل القرآن، =

orekanar.com

واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة: النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة[1].

=

وباب فضل من قرأ القرآن، ٣١٢/٢، برقم ٣٣٣٠.

(١) انظر: تفسير مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية في المصادر التالية: جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ٤٣٦/١، ٦٠/٣، ٦١، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري، ٤١٣/١، وتفسير البغوي، ٢٥٦/١، ١١٦/١، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ٣٢٤/١، ١٤٦/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٣١/٢، ٦٠/٣، ٦١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٨٤/١، ٣٢٣/١، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ٣٨٧/١، ٤١/٣، وفتح القدير للشوكاني، ٢٨٩/١، ١٤٤/١، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ٤٧٢/١، ٢٩/٢، ٧٥/٣، ٢٦٣/٣، وتفسير المراغي، ٢١٤/١، ١٩/٢، ٤١/٣، وتفسير السعدي، ١٧٣/١، ٢٩٠/١، ١٥٤/٦، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ٣١٢/١، ١٣٩/١، ٣٩٩، ٩٩٧/٢، وصفوة المفاهيم والآثار لعبد الرحمن الدوسري، ٣٦٠/٢، ٤١٦، ٤٩٨/٣، ٤٩٩، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٦/ ٦٦، ٦٧، ٩/ ٢٢/ ٢٣، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٧٠/١٩، ومدارج السالكين لابن القيم، ٤٧٨/٢، ٤٧٩، والتفسير القيم لابن القيم، ص٢٢٧، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٦٧/١، ٧٠، ٥٣١/٦، ١٠٠/٧، ٥٢٢/١٠، ٥٤٠/٥٢٩، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٧/٢/ ٣٣، ٩٨/٦، ١٢/١٥، وتحفة الأحوذي شرح سنن

=

وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولاً في تعريف الحكمة[1].

«وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه. فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كلُّ فعلٍ قبيح...»[2].

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذا الأقوال في تعريف الحكمة هو: «**الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه**».

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف؛ لأن الحكمة مأخوذة

=

الترمذي، ١٨٢/٦، ٥٨/٧، ٣٢٧/١٠، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٥٤/١٣، ٣٥٥.

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، ٣٢٠/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٣٠/٣، وانظر: البحر المحيط، ٣٢٠/٢، قال الإمام النووي رضي الله عنه: وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك. قال أبو بكر بن دريد: «كل كلمة وعظتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم»، شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣/٢.

من الحكم وفصل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بيّن الحكمة، يعني: أنه لبين الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهم منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهماً، خاشياً لله، فقيهاً، عالماً، عاملاً بعلمه، ورعاً في دينه... والحكمة أعم من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مسددون، مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور[1].

والحكمة في كتاب الله نوعان[2]: مفردة، ومقرونة بالكتاب.

فالمفردة كقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]. وقوله تعالى: **﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[4]، وقوله سبحانه: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ**

(١) انظر: تفسير الطبري، ٤٣٦/١، ٦١/٣.

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم ٤٧٨/٢، والتفسير القيم لابن القيم، ص٢٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

وهذه الحكمة فُسِّرت بما تقدم من أقوال العلماء في تعريف الحكمة، وهذا النوع كثير في كتاب الله تعالى.

أما **الحكمة المقرونة** بالكتاب، فهي السنة من: أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وسيرته، كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾[2]، وقوله: ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[3]، ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[4]، ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[5]. وغير ذلك من الآيات.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٢.

وممن فسر الحكمة المقرونة بالكتاب بالسنة: الإمام الشافعي والإمام ابن القيم، وغيرهما من الأئمة[1].

المطلب الثالث: العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي

عند التأمل والنظر نجد علاقةً قويةً بين المعنى اللغوي والشرعي، فكلاهما يجعل العلم النافع، والعمل الصالح الصواب المحكم المتقن أصلاً من أصول الحكمة، وعلى هذا فيكون التعريف الجامع المانع للحكمة هو: «الإصابة في القول والعمل والاعتقاد ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان». والله أعلم.

وبهذا التعريف يتبيَّن ويتَّضح أن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين، أو الترغيب، أو الحلم، أو الرفق، أو العفو... بل هي إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، كما قال ﷻ ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[2]، ويُوضع الزجر والقوة، والغلظة، والشدة، والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة. وقد قال أحكم الحاكمين لسيد

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٤٧٨/٢، والتفسير القيم، ص٢٢٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

الحكماء والناس أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

كل ذلك بإحكام وإتقان ومراعاة لأحوال المدعوين، والأزمان، والأماكن في مختلف العصور والبلدان، وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان[2].

ومن أراد البرهان العملي على ذلك فعليه أن ينظر إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ، ومعاملته لأصناف الناس، وهو الذي أعطاه الله من الحكمة ما لم يعطِ أحداً من العالمين[3].

المبحث الثاني: أنواع الحكمة ودرجاتها

المطلب الأول: أنواع الحكمة

الحكمة نوعان:

النـــوع الأول: حكمة علمية نظرية، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمراً، وقدراً

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣، وانظر: سورة التحريم، الآية: ٩.

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام، ١٦٤/١٩، ومفتاح دار السعادة لابن القيم، ١٩٤/١، والتفسير القيم، ص٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٤١٦/٣، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين رضي الله عنه، ص١٥.

(٣) انظر: التفسير القيم لابن القيم، ص٣٤٤، الهامش.